

المحاضرة الرابعة: علاقة اللسانيات التطبيقية بعلم اللغة الاجتماعي.

اللسانيات الاجتماعية أو علم اللغة الاجتماعي قالب مصطلحي لمفهوم واحد يعنى به محاولة « اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي، ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية»¹، حيث يعود الفضل في النظر إلى الظاهرة اللغوية في المجتمع بشكل علمي إلى علماء اللغة من أمثال سوسير، ماويه، فندريس، فيرث، هاليداي، مانسلوفسكي، ويسبرسن، فلمور، فيربواس، وهارس، كاردنر وغيرهم. من خلال جهودهم في تحليل الفعل اللغوي الإنساني ليخلص هؤلاء إلى علم تفرع وخرج من بين ثنايا علم اللغة العام وهو علم اللغة الاجتماعي، الذي يبحث في موقع اللغة في الحياة الإنسانية، كما يعنى أيضا « بدراسة الواقع اللغوي في أكاله المتنوعة بوصفه صادر عن معان اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة، ويشمل كل الميادين التي نعثر عليها مع علم الأعراف البشرية (ETHNOLOGIE)، الذي يدرس اللغة لا لذاتها وإنما بوصفها تعبيراً عن سلالة معينة، عن شعب، وعن حضارة»²، إذا كانت اللغة قوة من القوى التي تدفع الفرد المستعمل لها إلى تحقيق غاياته الاجتماعية المبنية أساساً على الفعل التواصلي اللغوي، فإن علم اللغة الاجتماعي يتضمن عناصر كثيرة من مجالات أخرى، بل يمكن القول أنه يحوي ميادين بكاملها حين نوسع فهمنا وقراءتنا لمفهوم علم اللغة الاجتماعي مثل: تحليل الخطاب السياسي أو الأدبي أو الديني أو الإعلامي. بناء على هذا، فإن مساعي علمية حثيثة لتصنيف اهتمامات علم اللغة الاجتماعي الذي يتناول الظاهرة اللغوية في المجتمع بعناصرها المتشعبة وأبعادها المتفرعة المتباينة، وكذا تداعيات علاقته مع عناصر اجتماعية. لنا من هذه التصنيفات تصنيف هاليداي الذي يحدد عناصر علم اللغة الاجتماعي حسب تصوره.

تصنيف هاليداي لاهتمامات علم اللغة الاجتماعية:

- الازدواجية اللغوية والتعدد اللغوي، وتعدد اللهجات.
- التخطيط والتنمية اللغوية.
- ظواهر التنوع اللغوي.
- علم اللهجات الاجتماعي (التنوعات المعيارية).
- اللسانيات الاجتماعية والتربية.

¹ - هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1998، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص 23.

- الدراسة الوصفية للأوضاع اللغوية (طريقة وأسلوب الكلام)
- السجلات والفهارس الكلامية والانتقال من لغة إلى لغة أخرى.
- العوامل الاجتماعية في التغير الصوتي والنحوي.
- اللسان والمجتمع والتواصل الحضاري.
- النظرية الوظيفية والنظام اللغوي.
- تطور اللغة عند اللغة.
- دراسة العرفية (الاثنو منهجية).
- دراسة النصوص.

نلاحظ ضمن هذا التصنيف أن علم اللغة الاجتماعي منطلقه دراسة اللغة في علاقتها بمعطيات اجتماعية ونفسية واثنولوجية.، حيث اللغة تدخل في مجال من مجالات الحياة، « ولعلها الوسيلة الوحيدة للإفصاح عن هذه العلاقات، وتلك القيم، فقد وجه علماء اللغة الاجتماعيون جهودهم لدراسة هذا الجانب المهم في اللغة فاعتبروا اللغة جزءا من الحضارة (CULTURE) ³، ونعني بالحضارة مجموع أنشطة الحياة من مأكّل وملبس وملبس ومأوى وعقائد وعادات وإعمال وابتكارات وغير ذلك من ظواهر النشاط الإنساني ⁴. إذا أُستدعينا لأن نضع تعريفات إضافية لعمل اللغة الاجتماعي لهدف الوصول إلى معنى شامل يفي بغرض الإحاطة بمفهومه سيكون الأمر أشبه بالبحث عن شيء في قاع المحيط. ذلك لاعتبارات كثيرة منها، أن علم اللغة الاجتماعي علم يدرس اللغة وعلاقتها بالمجتمع ونعرف أن المجتمع يتسع لكل نشاطات الإنسان حتى وإن كان ضمن جماعة لغوية في رقعة جغرافية محددين. كما أن علاقات علم اللغة الاجتماعي بالعلوم الأخرى ممتدة وواسعة وغير منقطعة، حيث علوم كثيرة إنسانية وأخرى طبيعية أسهمت في بناء القاعدة المعرفية لهذا العلم. أهمها على الاطلاق -باعتباره القاعدة العلمية للدراسات اللغوية الاولى- علم اللغة العام الذي يعتبره اللسانيون بحد ذاتهم الرافد النظري لعلم اللغة الاجتماعي، وعلم النفس وعلم الاجتماع بفروعه والثقافية، والتعليم وعلوم أخرى كثيرة. فالتعليم اهتم بقدر كبير بمعطيات ونتائج علم اللغة الاجتماعي

³ نجد أن القائل ترجم المصطلح culture بالحضارة وهذا ما نعترض عليه، باعتبار أن المصطلح الأجنبي موضوع في أغلب المعجمات الغربية والعربية للدلالة على الثقافة. أما الحضارة فتترجم civilisation

⁴ - the new encyclopedia britanica, v.5p, 364-365 نقلًا عن: هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، ص25.

حيث « استنادا إلى نتائج مثل هذه المشروعات يمكن أن تؤدي إلى إرساء قواعد سياسة تعليمية أفضل من السياسة القائمة»⁵.

يكتسي علم اللغة الاجتماعي أهمية واضحة وملموسة في حياة اللغة والأفراد من ناحية، وحياة العلوم الأخرى من ناحية ثانية، ففي الأولى نجد أن هذا الفرع اللساني الاجتماعي له من الحضور المنهجي والإجرائي ما يخول له أن يستقل بنفسه لتتشكل نظرياته وأطروحاته الخاصة به، فلقد أسهم بشكل كبير في إعادة صياغة مفهوم اللغة ليجعلها في ارتباط مباشر مع المعطى الاجتماعي وبكامل عناصرها دون استثناء، كما منحنا فرصة البحث في اللغة من منطلق العلاقات الاجتماعية النفسية للفرد المتكلم الحامل لنظام اللغة الخاص بجماعة بشرية معينة. « ولهذا يصير علماء اللغة الاجتماعيون على دراسة الظواهر اللغوية ضمن إطار اجتماعي كلي، ولقد أجريت دراسات على مناطق اجتماعية تعيش (ثنائية لغوية) انتهت إلى اكتشاف العوامل التي تؤثر على تحول الشخص من لغة إلى لغة أخرى، وقد اعتمدت تلك الدراسات على وسائل استبيان وإحصاء، من أجل الوصول إلى العوامل الاجتماعية الكلية التي لها تأثير على اختيار الناس لغة ما، ومن ثم الوصول إلى إيجاد(نظرية) تصلح لدراسة أنواع الأحداث الكلامية⁶ « أما من جهة علاقاته مع العلوم الأخرى والمجالات المعرفية المختلفة فإنه يقدم خدمة جلييلة لكثير التخصصات الإنسانية والاجتماعية، اللغوية منها وغير اللغوية كما الطبيعية والتجريبية. كل هذا على سبيل التكامل المعرفي بين العلوم. نكتفي في هذه المحاضرة بإبراز تأثيره الإيجابي على ميدان الدراسات اللغوية وتعليمية اللغة والمواد، ففي الأولى يقدم وضعية البيئة اللغوية التي تحتضن الفعل اللغوي والتي نعتبرها المشكل الأصلي له. ومن ثم فإن نظريات الاجتماعية التي تعتبر السلوك اللغوي الإنساني أهم سلوك تواصلية ضمنته الطبيعة البشرية في الفرد بالفطرة والاكْتساب. هذا يمد الجهود اللسانية الحديثة ببحوثيات الإنتاج اللغوي وتطوراته ضمن ميكانيزم اجتماعي نفسي لا يعي خباياه إلا المتمرسين والمشتغلون في قضايا حيوية في المجتمعات الإنسانية وفي مقدمتهم علماء اللغة الاجتماعيون. حيث يعتبرون لسانيون اجتماعيون في الحقيقة لأن المشتغل على اللغة مجبر أن يضمن بحوثه معطيات المجتمع. هذه العلاقة التي تنبثق من علاقة اللغة بالمجتمع قبل أن تكون بين علماء اللغة وعلماء علم الاجتماع. أما في جانب التعليم بفرعيه اللغوي والعرفي، فإن معطيات المجتمع الرئيسة مادة أولية للنشاطات التعليمية اللغوية منها والمعرفية حيث «علم اللغة

⁵ - د.هدسون، علم اللغة الاجتماعي. ، تر: محمود عياد، الناشر عالم الكتب، ط2، القاهرة مصر، 1990، ص14.

⁶ - أنظر: Social anthropology and language ; p110 نقلًا عن: هادي نهر، اللسانيات الاجتماعية عند العرب، ص47.

الاجتماعي من دوره في حل كثير من مشكلات التعليم والعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المتقدمة، لما للغة من دور فاعل في الإفصاح عن العلاقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع، بل لعلها الوسيلة الوحيدة للإفصاح عن هذه القيم وتلك العلاقات زيادة على كونها القناة التي يتعلم بها الأفراد معارفهم ويبنون بواسطتها شخصياتهم ويحققون نجاحاتهم العلمية والعملية»⁷.

⁷ - المرجع السابق، 47.